المحاولات التبشيرية فى بلاد الشام
فى عصر الحروب الصليبية

دكتور
حسن عبد الوهاب حسين
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الاداب - جامعة الاسكندرية

مقدمـــــة

يتناول هذا الموضوع أحد الجوانب الهامة فى تاريخ الحركة الصليبية التى تسمت بطابع دينى منذ بدايتها أخفى وراءه اطماع أخرى عديدة . وهذه المحاولات التبشيرية من جانب الغرب الأوروبى لنشر المسيحية ، أو بمعنى أدق محاول كنلكة الشرق الاسلامى ، لم تظهر فجأة بل سبقتها محاولات فردية فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ثم اتخذت شكلا منظما بقيام بعض الجماعات الرهبانية تخصصت فى هذا العمل مثل جماعتى الفرنسسكان والدومنيكان . ووقفت البابوية وراء هذه المحاولات تشجعها فى محاولة منها لتعويض ما أصاب الحركة الصليبية من جمود وفشل .

وقبل تناول هذه المحاولات لابد لنا من تناول مدى فهم أوروبا للدين الاسلامى ، وهل كل ذلك فهما حقيقيا أم انه كان متعمدا لأن ذلك سوف ينعكس على هؤلاء الدعاة ومحاولاتهم التبشيرية حيث كانوا أبعد مايكونون عن فهم الدين الاسلامى الحنيف .

وبداية فاننا سوف نركز على هذه المحاولات الفردية وبخاصة فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وأغلب الاشارات عن هذه المحاولات أوردتها المصادر الغربية ومن هنا فاننا يجب أن نكون على حذر عند تناولها لمحاولة الوصول إلى الحقيقة دون تعصب أو تحيز . وفى الواقع فإنه لم يظهر بحث أو كتاب باللغة العربية تناول هذا الموضوع، أما باللغات الأخرى فقد ظهرت مقالة لمارشال بلدوين[1] تناول فيها الإرساليات إلى الشرق مركزا بصفة خاصة على نشاط الفرنسسكان والدومنيكان فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . كذلك دراسة لبنيامين كيدار عن « الصليبية والإرسالية » تناول فيها العلاقة بين الفكرة الصليبية والإرساليات سواء فى شمال أفريقية أو الأندلس أو حوض البحر المتوسط أو فى بلاد الشام[2] . وقد ناقشت بعض النقاط التى أوردها على مدى صفحات هذا البحث .

(١) M. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (ed.) History of the Crusades, Vol 5. Philadelphia 1985, p. 452 ff.

(٢) B. Z. Kedar, Crusade and Mission, European Approaches to The Muslims, Princeton 1988.

وعالجت هذه المحاولات التبشيرية أثناء المعارك مع المسلمين ، ثم بين العبيد المسلمين وكذلك الأطفال وأخيرا مع الحكام والأمراء المسلمين . وأخيرا هل كان لهؤلاء المرتدين دور فى المعارك مع المسلمين ورد فعل المسلمين تجاه هذه المحاولات .

والله أسأله السداد والتوفيق ،،

يعتبر مصطلح « الرسالية » حديث من حيث استخدامه ، وهو لايقتصر فقط على محاولات نشر الكاثوليكية بين غير المسلمين ، وانما شمل فى بعض الفترات محاولات التوفيق بين الكنيستين الشرقية والغربية بعد القطيعة الدينية الكبرى التى تمت بينهما فى عام ١٠٥٤ م . غير أننا على مدى صفحات هذا البحث سوف نتناول هذه المحاولات الفردية التى جرت لكثلكة الشرق الإسلامى وبخاصة فى بلاد الشام فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى .

وقبل الخوض فى دراسة هذه المحاولات — والتى يحاول البعض ارجاعها إلى أواسط القرن السابع الميلادى [1] — لابد لنا من معرفة مدى فهم أوربا للدين الإسلامى فى القرن الحادى عشر الميلادى / الخامس الهجرى وذلك قبيل قيام الحروب الصليبية ، والذى سوف يعطى لنا انطباعا صادقا عن هؤلاء الدعاة . ويشير كيدار إلى أن « الفهم الأوروبى للمعتقدات الاسلامية أصبح أكثر وضوحا فى القرن الحادى عشر الميلادى » [2] . وفى الحقيقة فإن هذا الرأى يبعد تماما عن الصواب وذلك عندما نرى هذا الفهم ، اللهم إذا كان يقصد مقارنة ذلك بالفترة السابقة عن هذا القرن .

وردت أول اشارة فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى عن الرسول — ﷺ — لدى راؤل جلبر Raoul Glaber حيث ذكر أن المسلمين يعلمون الانبياء اليهود والمسيحيين ويعتقدون فى نبى يسمى عندهم محمد (ﷺ) . وفى نفس الفترة أشار أحد الشعراء البازنة المجهولين فى قصيدة له يحتفل بانتصار مواطنيه على مدينة المهدية فى عام ١٠٨٧ م / ٤٨٠ هـ ، أن محمد (ﷺ)

---

(١) اشار المؤرخ البيزنطى نيقفور (ت ٨٢٩ م) إلى أن قورس Cyrus بطريرك الاسكندرية والذى كان معاصرا للفتح العربى لمصر قد اقترح — ربما فى عام ٦٤٠ م — زواج ابنة الامبراطور البيزنطى هرقل من عمرو بن العاص لاقناعه بالدخول فى المسيحية . ولكن يظن استبعد تماما هذه الرواية . أما نوا Nau فقد اطلق العنان لتفكيره معتقدا أن المقوقس أراد تحويل الرسول ﷺ نفسه إلى المسيحية وذلك بارسال فتاة قبطية . وخلط هذا الكاتب بينها وبين مارية القبطية التى أسلمت بمجرد وصولها إلى المدينة وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام . ينظر : فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٢٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الإسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٢٣ ، وكذلك :
Kedar, op. cit, p. 85.

(٢) Ibid.

لايعتقد في الثالوث أو أن يسوع هو نفسه الرب [٣] وعلى الرغم من أن اناسطاسين لانذولفين Anastasian Landulpian اشار لبعض عقائد الإسلام مثل الاستشهاد في المعركة والتراحم بين المسلمين ، إلا أنه أساء عن قصد أو غير قصد — فهم متعة الحور العين التي أعدها الله لعباده المؤمنين عند دخولهم الجنة . فذكر أن الجنة مليئة بالملذات الجنسية لمحاولة تشويه صورة المسلمين وانهم يجرون وراء هذه المتع [٤] .

وتزداد كراهية هؤلاء المؤرخين للرسول (ﷺ) فيحاولون تشبيهه بما يفعلونه مع عيسى عليه السلام — وهو براء من ذلك — فيقول احدهم أن المسلمين يعبدون محمد (ﷺ) . ويزعم آخر نقلا عن رواية اسبانية — تدعى كذبا وبهتانا — أن الشيطان تمثل في صورة الملاك جبريل ونقل للرسول (ﷺ) ماسمعه في مدارس المسيحيين لكي يبشر به بين العرب ويدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الأوثان[٥] .

---

(٣) قام البيازنة والجنوية بالاغارة على المهدية وزويلة في عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧م باسطول مكون من ثلاثمائة سفينة عليها ثلاثين الف مقاتل ويعلم ابن عذارى أسباب هزيمة المسلمين في هذه الحملة ، وأشار هو وابن خلدون إلى مهاجمة المدينتين ، أما ابن الأثير فلم يشر الا إلى مهاجمة زويلة وذلك في عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨م ، ولكنه أضاف شرطا آخر إلى شروط الصلح معهم هو ، رد جميع ماحوته من السبي ، للمزيد انظر : ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، جـ ١ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٠١ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٣ جـ بيروت ١٩٨٣ ، المجلد السادس ق ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩ جـ ، بيروت ١٩٧٨ ، جـ ٨ ، ص ١٤٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، العصر الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٧٥ ، ٦٧٦ .

(٤) للمزيد عن ذلك أنظر : مونتجومري وات : فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٩٩ — ١٠٥ .

(٥) يقول الله في سورة المائدة ردا على ذلك « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ »

وفي سورة يونس — « وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ »

وفى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى يحدث بعض التغير النسبى فى معلومات أوروبا عن الاسلام لدى بعض مؤرخى الحروب الصليبية . فيشير جوبرت دى نوجان أن المسلمين لايعتبرون محمدا (ﷺ) أله ، كما يعتقد البعض ، وانما رجل تم عن طريقه ايصال التعاليم الالهية [٦] .

غير أن هذا التغير لايستمر طويلا ، فنجد مؤرخا آخر مثل فوشيه دى شارتر ، والذى شارك فى الحملة الصليبية الأولى وعاش أكثر من ربع قرن فى بلاد الشام، يشير إلى أن المسلمين اعتادوا عند قبة الصخرة أداء صلاتهم لوثن مقام باسم محمد ، وذلك على حد زعمه والعياذ بالله . وان دلت هذه الرواية على شيء فانما تدل على التعصب الأعمى ضد الاسلام ومحاولة اتهامه بالوثنية [٧] .

أما رواية المؤرخ وليم الصورى والذى ولد فى الشرق حوالى عام ١١٣٠م / ٥٢٤ هـ وأصبح من رجال الدين المسيحى ، فهى تقطر سما وكراهية للاسلام . وعلى الرغم من أن كيدار يذكر انه لم يستخدم لفظ الوثنيين Pagans عند الاشارة للمسلمين [٨] إلا أن ذلك الرأى يبعد تماما عن الصواب . فعندما تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول « فى عهد الامبراطور الرومانى هرقل وطبقا للمؤرخين القدامى والروايات الشرقية تمكنت مذاهب محمد المضرة أن تحصل لها على اقدام راسخة فى الشرق . وهذا هو أول أبناء الشيطان ـــ والعياذ بالله ـــ والذى أدعى كذبا بأنه رسول من الرب ، وقام باغواء أراضى الشرق وخاصة شبه جزيرة العرب . وسرعان ما انتشرت هذه البذرة السامة واخترقت الاقاليم التى قام فيها خلفاؤه باستخدام السيف والقوة لنشر معتقداته الخاطئة وذلك بدلا من استخدام الوعظ والتبشير » [٩] .

ويتضح بجلاء مدى حقد هذا المؤرخ على الاسلام بسبب انتشاره السريع فى

---

(٦) Guibert de Nogent, Gesta Dei per Francos, in RHC. H. Occ. 4, p. 130.

(٧) Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, Konxville, 1969, pp. 118, 122.

(٨) Kedar, op. cit, p. 89.

(٩) William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 2 vol., New York, 1943, vol. I, pp. 60 - 61.

أراضي الامبراطورية الرومانية الشرقية ، ويحاول اتهام الاسلام انه انتشر بحد السيف — وهي الرواية التي يكررها كثير من المستشرقين اليوم — وهو أبعد مايكون عن ذلك .

أما عن مصادره التي ذكر انه استقى منها هذه المعلومات فلم يوضحها لنا ، ويشير في موضع آخر انه تحدث باستفاضة عن الرسول (ﷺ) في مؤلف له يسمى « أعمال الامراء الشرقيين » (Gesta orientalium principum) (١٠) .

وتستمر هذه الافكار الخاطئة عن الاسلام والرسول (ﷺ) لدى أولئك الغربيون على الرغم من مرور أكثر من مائة عام على وجودهم في الشرق . ففي رسالة بتاريخ عام ١٢٠٤ م من إسوفريد بطريرك بيت المقدس إلى البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦ م) ذكر فيها أن المسلمين يزورون يوميا ويعبدوا ربهم محمد Magometh ، كما يفعل المسيحيون بعبادة المسيح في كنائسهم (١١) . وهو هنا لايستطيع أن يفرق بين ذهاب المسلمين للمسجد لاداء العبادة لله عز وجل وطاعة رسوله والاقتداء به ، وبين الشرك بالله وعبادة المسيح الذي نفى عن نفسه هذا كما ورد في القرآن الكريم (١٢) .

أما أوليفر أوف بادنبورن فقد أشار إلى نقاط عديدة من معجزات السيد المسيح عليه السلام من واقع القرآن الكريم مثل احياء الموتى وشفاء الابرص واعادة البصر للاعمى وذلك كله باذن الله (١٣) ، يضيف أن المسلمين لاينكرون انه كلمة الله وأنه صعد حيا إلى السماء ، ولكنهم لايعترفون بآلامه وموته أو الاعتراف بالطبيعتين والثالوث (١٤) .

(١٠) كانت هذه المخطوطة لاتزال موجودة حتى قرن مضى في مكتبة القديس البان S. Albans في انجلترا غير أنها فقدت بعد ذلك . انظر : Introduction to William of Tyre, pp. 26 - 27.

(١١) Kedar, op. cit., p. 90.

(١٢) عن نفي السيد المسيح عليه السلام لذلك انظر سورة النساء آية (١٧٢) .

(١٣) « إذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني وإذ تخرج الموتى باذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين » المائدة آية (١١٠) .

(١٤) Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, pp. 37, 50.

ولو اكتفى أوليفر بذلك لكان منصفا فيما ينقله عن موقف الاسلام من السيد المسيح عليه السلام ، ولكنه شأنه مثل بقية المؤرخين الغربيين يدفعه التعصب الأعمى لكى يتهم المسلمين بأنهم هراطقة ولايصح أن يطلق عليهم مسلمين على حد قوله (١٥) . ثم يكرر نفس الرواية السابقة عن الرسول (ﷺ) بأنه تلقى أوامره من الشيطان التى تمت كتابتها بالعربية على يد أحد الرهبان المسمى سرجيوس (١٦) .

وخلاصة الأمر أن معلومات أوروبا عن الدين الاسلامى وعن الرسول ﷺ لم تكن صادقة ويعتريها التعصب الأعمى من جانب هؤلاء المؤرخين . ويعترف مارشال بلدوين بذلك فيقول أن هذه المعلومات المتاحة للغربيين عن الاسلام لم تكن كافية وغير دقيقة وأتى معظمها من أسبانيا ، وهى نفس الأفكار التى استمرت فى القرن الثالث عشر الميلادى (١٧) .

ويظهر تساؤل هام هنا قبل تناول هذه المحاولات التبشيرية بالدراسة والتحليل هو . هل كان هدف الحروب الصليبية تحويل المسلمين للمسيحية ؟ يرد الكاتب براور على هذا بقوله أنه مهما كانت ايدلوجية الحملة الصليبية الأولى فإن الصليبيين فى الشرق لم يصبحوا مطلقا مؤسسة تبشيرية . أما إذا نظرنا إلى هذه المحاولات الفردية للتبشير سواء بين المسلمين أو اليهود ، بل حتى محاولات التوفيق مع المسيحيين الشرقيين لايجاد نوع من الوحدة مع روما ، فان الصليبيين فى أفضل الحالات لم يكونوا مكترثين بهذه المحاولات ، بل فى حالات أخرى عديدة كانوا يعارضونها (١٨) .

ومن ناحية أخرى فإن خطبة البابا أربان الثانى فى مؤتمر كليرمون عام ١٠٩٥ م لم تشر اطلاقا إلى أن الهدف من الحروب الصليبية هو تحويل المسلمين للمسيحية

---

(١٥) Ibid.

(١٦) يقول الله عز وجل « كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » يونس آية (٣٧) .

(١٧) Baldwin, Missions to the East, p. 459.
وكذلك : مونتجومرى وات : المرجع السابق ، ص ١١٢ — ١١٣ .

(١٨) J. Prawer, Crusader Institutions, Oxford, 1980, p. 210.

وانما كان الاستيلاء على بيت المقدس [١٩] . كذلك فان الخطابات الرسمية الصادرة من البابوية إلى رجال الدين المسيحيين لم تشر إلى هذا الهدف ، كذلك فان أيا من هذه الجماعات الرهبانية العسكرية التي تأسست في الشرق سواء كانت الاسبتارية أو الداوية أو التيوتون لم تشتمل بنودها على أية شروط لقيام اعضائها بمهمة التبشير بالمسيحية [٢٠] .

أما الأمثلة التالية للمحاولات التبشيرية فقد وردت غالبيتها في المصادر الغربية مما يجعلنا نكون على حذر عند تناولها ولا نسلم تماما بما جاء فيها لأون وهلة إلا بعد التأكد وعمل المقارنات مع المصادر الأخرى . ويدور الخلاف حول موقف أحمد بن مروان قائد قلعة انطاكية الذي وافق على تسليمها للأمير الصليبي بوهمند في عام ١٠٩٨م/ ٤٩١ هـ ، ويشير المؤرخ المجهول وفوشيه أوف شارتر انه وافق على التحول للمسيحية مع رجاله الذين وافقوا على ذلك [٢١] ولابد لنا من التوقف هنا عند هذه الاشارة . فالمؤرخ المجهول كما يقول ج . فرانس J. France كان يهتم بأعمال النورمان [٢٢] ، وهو بدون شك يرغب في اعلاء شأن بوهمند ، اما فوشيه فان روايته ينقصها الدقة بسبب وجوده آنذاك في الرها مع جيش بلدوين وبالتالي لم يكن شاهدا عيانا لاحداث حصار الصليبيين لانطاكية . كما أن المؤرخ ريموند الصنجيلي لم يشر إلى هذه المسألة على الرغم من وجوده مع الجيش الصليبي أمام انطاكية . غير أن ابن العديم يذكر أن الصليبيين القوا سراح أحمد بن مروان ومن معه وأمنوه وسلمها لهم في الاحد الثاني من شعبان ٤٩٢ هـ [٢٣] وانزلوه في دار بانطاكية وأطلقوا

---

(١٩) عن مناقشة ما ورد في هذه الخطبة أنظر :
J. La Monte, Crusade and Jihad, in The Arab Heritage, ed. by N. A. Faris, New Jersey, 1964, pp. 158 - 198; Kedar, op. cit., pp. 58 - 59.

(٢٠) عن قيام هذه الجماعات انظر : ابراهيم نصحي : جماعة الفرسان الداوية : رسالة ماجستير لم تنشر بعد [الاسكندرية ١٩٨٠م] ، مصطفى الحناوي : تاريخ جماعة الفرسان الاسبتارية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد . الاسكندرية [١٩٨٠] ، حسن عبدالوهاب : تاريخ الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية [١٩٨٩] .

(٢١) Gesta Francorum Hierosolimitanorum : ed. by Rosalin Hill, London 1933, p. 92.

(٢٢) The Crisis of the First Crusade in Byantion t. XL . 1970, p. 277.

(٢٣) صحتها ٤٩١ هـ ، والأحد الثاني من شعبان يوافق ٧ يوليو ١٠٩٨ م وذلك حسبما اشارت المصادر الصليبية وهي الأدق هنا .

أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب [٢٤] . غير أن الذى يثير الشك هنا حول موقف أحمد بن مروان انزال الصليبيين له فى دار بانطاكية دون بقية اصحابه ، وان كنا أيضا لانستطيع أن نجزم تماما بتصره ، لأن ابن العديم لم يشر إلى ذلك صراحة .

وتختلف أيضا رواية ريموند الصنجيل وألبرت أوف اكس حول أحد الاتراك الذى ارتد عن الاسلام أثناء الحملة الصليبية الأولى . فيشير الأول أن بوهمند كان له الفضل فى ذلك وقام باعطائه اسمه ، أما الآخر فيشير إلى أنه تنصر قبل سقوط انطاكية ولعب دورا فى اخضاعها . وفى نفس الوقت فانهما لايختلطا بشخص فيرور الارميني الذى أسهم بخيانته فى سقوط انطاكية فى قبضة الصليبيين فى عام ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ [٢٥]

ومن أمثلة ماحدث أثناء الحملة الصليبية الأولى عن محاولات فرض المسيحية بالقوة أثناء المعارك ، أشار المؤرخ المجهول أن ريموند بيليه Raymond Pilet [٢٦] خير المسلمين القاطنين حول تل منس فى يوليو ١٠٩٨م / شعبان ٤٩١ هـ بين المسيحية والموت فمن قبلها يطلق سراحه ومن رفضها فان مصيره القتل [٢٧] . ويروى ابن العديم رواية أخرى مفادها أن جماعة من الفرنج خرجوا فى شعبان ٤٩٢ هـ (صحتها ٤٩١ هـ) زحفوا مع أهل تل منس ونصارى معرة النعمان على المعرة وقاتلوها ، فوصل جانب من عسكر حلب اليهم والتقوا بين تل منس والمعرة فانهزم الفرنج وبقى الرجالة منهم ، فقتل منهم زائد عن ألف رجل ، وحملت الرؤوس إلى معرة النعمان [٢٨] . ويتضح جلاء رفض الأهالى المسيحية أو الاستسلام فاما النصر أو الشهادة .

---

(٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ ــ ١٩٦٧ ، ص ٥٠٢ . أما ابن القلانسي فلم يشر إلى تنصر أحمد بن مروان ، وانما أشار فقط أن سكان انطاكية الجبلية إلى قلعتها قبل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٠ .

(٢٥) Raymond d'Aguilers, Historia, (english Trans.) p. 135; cf. also: Kedar, op. cit., p. 63.

(٢٦) كان سيدا على مقاطعة فى فرنسا ، ويعرف أيضا بفارس ليموسين Liomousin ، أما تاريخ هذه المعركة فكان فى الفترة مابين ١٤ ــ ١٧ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ ــ ١٤ شعبان ٤٩١ هـ وتقع تل منس جنوب شرق انطاكية بالقرب من معرة النعمان . انظر :

Peter Tudebode. Historia, Philadelpia 1974, p. 22, n: 5, 6.

(٢٧) Ibid. cf.also: Kedar, op. cit., p. 63.

(٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٠٢ .

تم الصليبيون وجههم تجاه بيت المقدس هدف حملتهم الصليبية بعد أن نجحوا فى الاستيلاء على الرها وانطاكية . وفى أثناء حصار الصليبيين للقدس فى يوليو ١٠٩٩ م / شعبان ٤٩٢ هـ ، ذكر ألبرت أوف اكس أن بلدوين دى بورج أحد قادة الحملة ومعه عدد آخر من الأمراء عرضوا المسيحية على أحد البلاء المسلمين الذى وقع فى أسرهم ، وقاموا باستجوابه وبعد أن فشلوا فى اقناعه بالمسيحية قاموا بقطع رأسه أمام برج داود — أحد ابراج بيت المقدس [٢٩] .

هذه الرواية التى ينقلها لنا ألبرت أوف اكس — والذى لم يكن شاهدا عيانا لها — تختلط احداثها مع مارواه مؤرخ آخر وشاهد عيان هو بطرس تيدبوده . فيذكر انه أثناء حصار القدس أرسل المسلمون أحد جواسيسهم للتجسس على الآلات الخاصة بالصليبيين فتم القبض عليه . وتم سؤاله — عن طريق مترجم — عن سبب مجيئه فرد عليهم بأنه أراد أن يعلم آلات الحصار الخاصة بهم . فاخذه الصليبيون وهو مقيد ووضعوه فى منجنيق يحاولن إلقائه داخل القدس ولكنهم وجدوا أن ذلك سوف يكون مستحيلا لانه سوف يتمزق أربا قبل أن يسقط بداخلها [٣٠] .

وعلى الرغم من انفراد بطرس برواية الجاسوس هذه ، إلا انها تبدو كأنها نفس رواية ألبرت عن ذلك الأمير المسلم ، ولكن مع اضفاء نوع من التضخيم عليها بجعل قادة الحملة يحاولون نشر المسيحية مما يرفع من قدرهم فى أوروبا .

غير أن كيدار يبدو أنه يميل للأخذ برواية ألبرت ، فيشير إلى أننا يجب ألا نغفلها ، بسبب وجود خطاب لأحد اليهود المعاصرين للحملة الأولى ، ويرجع تاريخه إلى عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ — أى بعد عام واحد فقط من سقوط القدس — ويشير صاحب الخطاب إلى أن الصليبيين حاولوا « اقناعه بالمسيحية كى يقبلها بمحض ارادته ووعدوه بمعاملة طيبة ، ولكنه قال لهم كيف أصبح كاهنا مسيحيا « كاهنا نصرانيا » وأترك فى أمان جانبهم (يقصد اليهود) وهم

---

(٢٩) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, p. 409

(٣٠) Peter, op. cit., p. 11

الذين انفقوا على مبالغ باهظة »[٣١] ويضيف مؤلفه ، انه على الرغم من ذلك فان بعض الأسرى اليهود قبلوا المسيحية .

وفى الواقع فان هجة هذا الخطاب تدل على أن ذلك الشخص اليهودى كان يرغب فى التحول للمسيحية ولكنه كان يريد الثمن لذلك ، ويتضح هذا من قوله « وهم (أى اليهود) انفقوا علىّ مبالغ باهظة » . ومن ناحية أخرى ، هل كان باستطاعته هو واليهود فعل شيء بعد هذه المذبحة المروعة التى حدثت لجميع سكان القدس — سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود — عند اقتحام الصليبيين للقدس فى عام ١٠٩٩ م . وقد افاضت فى ذلك جميع المصادر من غربية أو شرقية .

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين بهذه الحالات الفردية التى وردت فى المصادر الغربية عن بعض المرتدين ، إلا أن ايا منهم لم يشيروا إلى ماحدث اثناء الحملة البيزنطية الصليبية المشتركة على بلاد الشام فى عام ١١٣٨م / ٥٣٢ هـ وكانت بقيادة الامبراطور البيزنطى حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م)[٣٢] .

ففى أثناء زحف هذه القوات على مدينة حلب مرت بحصن بزاعة[٣٣] وذلك فى ١٨ أبريل ١١٣٨م / ٢٥ رجب ٥٣٢ هـ . وبعد حصار دام حوالى سبعة أيام قرر أهله التسليم بعد أن توثقوا من الصليبيين والبيزنطيين بالعهود والايمان . ولكنهم غدروا بأهله « وتنصر قاضى بزاعة وجماعة من الشهود وغيرهم تقدير اربعمائة نفس »[٣٤] .

---

(٣١) عثر على هذا الخطاب فى الوثائق الخاصة بجنيزة القاهرة ، ونشره جريجور مع خطاب آخر بالعبرية . وتوجد ترجمة له بالفرنسية نشره كلود كاهن فى

C. Cahen, Orient et Occident. au temps des Croisades, Paris, 1983, p. 224 - 25.

(٣٢) Anonymous Syriac Chronide. The First and Second Crusades, Journal of The Royal Asiatic Society, London 1933, II pp. 278 - 79, William of Tyre, op. cit., II, 14 - 15, pp. 92 - 95.

(٣٣) بلدة من أعمال حلب فى واحى بطلان بين منبج وحلب ، انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٠٩

(٣٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤١٦ ؛ ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٣٥٩ ؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ص ٥٨٨

وفى اشارة المصادر الاسلامية عن هذه الحادثة لم تدن قاضى المدينة ومن معه، وعلى الأرجح انه استخدم مبدأ التقيه [٣٤] وذلك حتى يتخلص من هذا المأزق[٣٥] . والدليل على ذلك أن سيف الدين سوار بن ايتكين تمكن من اطلاق سراح اسرى بزاعة الذين تركهم البيزنطيون وراءهم أثناء زحفهم على حلب [٣٧] . وفى الواقع انهم لو استمروا على نصرانيتهم لاستغلت المصادر الصليبية هذا فى التشنيع بالاسلام وأهله بدلا من هذه الحالات الفردية السابقة التى تهلل لها وتحاول أن تضخمها .

وبخلاف محاولات نشر المسيحية عن طريق القوة أثناء المعارك ، حاول بعض الصليبيين استخدام مجال آخر للتبشير بها وذلك بين العبيد المسلمين فى مقابل حصولهم على حريتهم . فحسب قوانين مملكة بيت المقدس كان العبد المسلم الذى يتحول للمسيحية يحصل على حريته [٣٨] . ومثال ذلك ماحدث أثناء الحملة الصليبية عندما استولى ريتشارد قلب الاسد وفيليب أوغسطس على عكا فى يوليو ١١٩٢م / رجب ٥٨٨ هـ أمرا باطلاق سراح العبيد المسلمين

---

(٣٦) للمزيد أنظر : دائرة المعارف الاسلامية جـ ٥ ، مادة التقية ، دار الشعب ، القاهرة .

(٣٥) ورد هذا المبدأ فى القرآن الكريم : ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل آية (١٠٦).

ويروى لنا ابن عباس ان سبب نزول هذه الآية كانت فى عمار بن ياسر . ويذكر ابن كثير فى شرحه لهذه الآية أن الاكراه على الكفر يجوز له أن يوالى ابقاء لمهجته ، ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضى الله عنه يفعل ، وكذلك الصحابى الجليل حبيب بن زيد الانصارى عندما حاول إمسيلمة الكذاب اجباره على الشهادة له بانه رسول . والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ، ولو أفضى إلى قتله . كما ورد فى ترجمة الحافظ بن عساكر عن الصحابى الجليل عبد الله بن حذافة السهمى مع ملك الروم ولكنه أبى على الرغم من وسائل التعذيب المختلفة التى لاقاها . وعندما بكى أعتقد ملك الروم أنه ضعف عرض عليه النصرانية مرة ثانية ، غير أنه رد عليه بأنه يبكى لأن له نفسا واحدة ، وكان يرغب أن يكون له بعدد كل شعرة فى جسده نفسا تعذب هذا العذاب فى الله . انظر : مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، بيروت ، ١٩٨١ ، المجلد الثانى ، ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

(٣٧) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٤١٦ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٥٨٨ .

(٣٨) Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, translated From French by. J. Shirley, 2 Vols Amsterdam, 1979, p. 132

راغبين فى التحول للمسيحية . ولكنهم سارعوا بالفرار إلى معسكر صلاح الدين الأيوبى ، فأمر فتكان بعدم تحويل عبيد جدد إلى المسيحية [٣٩] .

وعلى الرغم من هذا حق الفاوى للعبيد المرتدين بالحصول على حريتهم ، لا أن السادة الصليبيين — سواء كانوا علمانيين أو دينيين — منعوا هذا التحول لما يسببه ذلك من خسارة لهم ، بل بهم عرقلوا الدعاة عن أداء عملهم . ولاشك أن لذلك دلالته فمصلحتهم المادية غلبت عليهم فى الوقت الذى استغلوا فيه الدين لاخفاء هذه المطامع . وحاول البابا جريجورى التاسع (١٢٢٩ — ١٢٤١م) معالجة هذه المسألة فى خطاب أرسله فى ٢٨ يوليو ١٢٣٧م إلى جريولد بطريرك بيت المقدس الاسمى ومقدمى الجماعات الرهبانية العسكرية الثلاثة فاشار إلى أنه « لما إلى علمنا أن العبيد الذين يقبلون التعميد بنية الحصول على حريتهم طبقا لعادة البلاد (الأراضى المقدسة) فانه يتم رفضهم ، بل ان بعض السادة ومنهم رجال دين يمنعون عبيدهم عن التحول للمسيحية ، لأنهم ببساطة يفقدونهم » [٤٠] .

وحلا لهذه المشكلة أمر جريجورى هؤلاء السادة ، بأن العبد الذى يرغب فى التحول للمسيحية يتم له ذلك ، ولكنه عليه أن يفهم أن حصوله على الحرية لايعنى خروجه عن طاعة سيده ، وأن يتم السماح له بحضور القداس فى الكنيسة وأن يعامل معاملة حسنة [٤١] .

وفيما يبدو أن هذا الخطاب لم يحل هذه المشكلة لأننا نجد مرسوما آخر يسمى « مرسوم يافا » . وأصدر هذا المرسوم المندوب البابوى أدو دى شاترو فى يناير ١٢٥٣م بشأن نفس الموضوع . وقد هدد أدو باصدار قرار الحرمان على السادة الاقطاعيين الذين لايسمحون لعبيدهم بالتحول واطلاق حريتهم ، وأعلن أنه يجب قراءة هذا المنشور فى الكنائس مرتين فى العام وان يسجل فى سجلاتهم وبذلك لن يستطيع أحد تجاهله [٤٢] .

---

(٣٩) Roger of Howden, Annals, pp. 66 - 76; Cf.also : Kedar, op. cit., pp. 146 - 147

(٤٠) Cartulaire Général de l'ordere des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100-1310), Par Dechaville le Roux, (München, 1980), no. 2168, pp. 513 - 514.

(٤١) Ibid cf. also : Prawer, Crusader Institutions, p. 210.

(٤٢) Kedar, Ecclesiastical Legislation in Kingdom of Jerusalem, The Statutes of Jaffa (1253) and Acre (1245?), Crusade and Settlement, ed. P. Edbury, Cardiff 1985, p. 228.

هذه المحاولات من جانب الصليبيين لاغراء العبيد المسلمين بالفرار اليهم وتحويلهم للمسيحية في مقابل حريتهم ، ربما كانت أحد الدوافع التي جعلت السلطان المملوكي الظاهر بيبرس يشترط في معاهدة له مع استاربة حصن الاكراد والمرقب في عام ١٢٦٧م / ٦٦٥ هـ ، شرطا يحمي به الفلاحين المسلمين في المناطق ذات المناصفات بينهما فذكر « وأن يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين » « وعلى أن يحكم فيه بشريعة الاسلام أن كان مسلما (يقصد الجزء التابع للمسلمين) ، « وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد » (٤٣) .

وفي معاهدة أخرى بين السلطان المملوكي المنصور قلاوون وابنه على مع حكام الفرنج بعكا في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م اشترط عليهم « وعلى انه متى هرب أحد — كائنا من كان — من بلاد السلطان وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعينة في هذه الهدنة ، وقصد الدخول في دين النصرانية وتنصر بارادته ، يرد جميع مايروح معه ويبقى عريانا ، وان كان يقصد الدخول في دين النصرانية ولايتنصر ، رد إلى أبوابهما العالية بجميع مايروح معه بشفاعة ثقة بعد أن يعطى الامان » (٤٤) .

وكانت أخطر المحاولات التبشيرية ، تلك التي قام بها جاك دى فيترى أسقف عكا (١٢١٦ — ١٢٤١ م) . ويرجع خطورتها إلى انها تمت بين الأطفال المسلمين . ففي أثناء الحملة الصليبية على بلاد الشام والتي كانت بقيادة اندرو الثاني ملك هنغاريا قام جاك دى فيترى باقناع الصليبيين باعطائه الأطفال المسلمين الذين تم أسرهم أثناء الغارة على بيسان وحصن جبل الطور في الفترة من أكتوبر — ديسمبر ١٢١٧ م / رجب — شعبان ٦١٤ هـ ، وقام بتسليمهم الى راهبات عكا لكي يقمن بتعليمهن المسيحية (٤٥) .

(٤٣) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، جـ ١٤ ، ص ٣٢ — ٣٣ .

(٤٤) نفس المصدر ، جـ ١٤ ، ٥٦ — ٥٧ . وعن دراسة لهذه المعاهدة وبنودها انظر : حسن عبدالوهاب : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ٣٢٣ — ٣٢٦ . أما عن قضية المملوك التابع لجمال الدين أقوش الرومي والذي فر إلى صاحب صور ، وكذلك البنت التي تم تنصيرها راجع : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ ، ص ٣٤٧ .

(٤٥) Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, p. 16

ويتكرر نفس الأسلوب مرة أخرى أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر فعقب استيلاء الصليبيين على دمياط في ٥ نوفمبر ١٢١٩ م / ٢٥ شعبان ٦١٦ هـ، طلب جاك منهم الأطفال المسلمين الذين كانوا بها وحصل عليهم إما عن طريق الشراء أو توسل وقام بتعميدهم . غير أن القدر يتدخل ويموت خمسمائة من هؤلاء الأطفال — لسبب لم توضحه المصادر — وأرسل الباقي إلى اصدقائه لكي يلقنوهم المسيحية (٤٦) .

ولاشك أن هذا الاسلوب يعتبر من أخطر أساليب التبشير التي أتبعت وكان من الممكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة لم تحققها الأساليب الأخرى في التبشير بالمسيحية سواء أثناء المعارك أو بين العبيد أو الطبقات الأخرى غير أنه بحاجة إلى معارك وحروب ينتج عنها انتصارات للصليبيين ويحصلوا على الاسرى خاصة من هؤلاء الاطفال ولم يكن هذا ليتحقق بعد أن مال الميزان لصالح المسلمين في صراعهم مع الصليبيين منذ معركة حطين ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ .

وترد اشارات مختلفة عن محاولات نشر المسيحية بين الحكام والامراء المسلمين . وأول اشارة عن ذلك ترد لدى ألبرت اكس حيث أشار إلى أن الصليبيين عرضوا المسيحية على كربوغا حاكم الموصل أو الدخول في معركة معه وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى كما ذكر أن تانكرد أمير الجليل عرض المسيحية على اتقاق صاحب دمشق عندما أرسل ستة من الفرسان الصليبيين اليه . ولكن اتقاق قام بشنق خمسة منهم وفضل السادس اعتناق الاسلام . وترد اشارة ثالثة أيضا عن حاكم الرملة الفاطمي — دون أن نعرف اسمه — قام بمشاركة حلفائه من الصليبيين في معركة عسقلان ١٠٩٩م/ ٤٩٢ هـ بعد أن نجح جودفرى دى بوايون في اقناعه بالمسيحية (٤٧) .

(٤٦) Letters de Jacques des Vitry, ed. R.B.C. Huygens, Leiden 1960, no. VI, pp. 123 - 134; Oliver, op. cit., pp. 48 - 54.

ويشير تاريخ بطاركة الكنيسة ، انه عند سقوط دمياط كان يوجد بها الأطفال ، « وذكر المحققون أن باب البرج أغلق على ستة وأربعين لم يجر خارجا عن الماء والعشار » — انظر : كيرلس الثالث (ابن لقلق) : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . قام على نشره دكتور انطون خاطر ودكتور ارولد بوريستر . القاهرة ١٩٧٤ . ص ٣٢ ؛ محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ . ص ٢٨٣ .

(٤٧) Albert d'Aix, p. 469, cf. also; Kedar, Crusader Mission, p. 63.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٦٩

وفى الحقيقة فان انفراد البرت بهذه الاشارات يجعلنا نكون على حذر عند التعرض لها ، خاصة وأنه ينقل عن الغائبين من الحملة الأولى والذين كانوا يرغبون فى اضفاء طابع البطولة على أعمالهم .

كذلك ترد اشارة عن الأمير ناصر الدين نصر بن عباس الذى وقع فى أسر الداوية فى يونيو ١١٥٤م / ربيع أول ٥٤٩ هـ بعد أن بلغتهم أخت الخليفة الظافر بأمره حتى تنتقم لمقتل أخيها (٤٨) . ويذكر وليم الصورى أنه رغب فى التحول للمسيحية وبدأ فى تعلم الحروف اللاتينية ولكن الداوية فضلوا اعادته لوالده وحصلوا على ستين الف دينار بدلا من قبوله فى المسيحية (٤٩) . وفى اعتقادنا أن نصر كان على علم بما يجرى من محاولات لاعادته إلى مصر للانتقام منه فعبر عن رغبته هذه لكى يتمكن من التخلص من هذا المأزق .

وأشارت بعض الحوليات الالمانية إلى أن بعض سفراء صلاح الدين الأيوبى أو سلطان قونيه (ربما قلج ارسلان) عرضوا على فردريك بربروسا الامبراطور الالمانى أن يزوج ابنته من ابن صلاح الدين الايوبى أو من سلطان قونيه نفسه وذلك فى مقابل تحول الممالك الاسلامية إلى المسيحية على حد إزعمها(٥٠) ، وفى الواقع فان المصادر الاسلامية لم تشر إلى هذه الرواية ، والتى تتعارض بدون شك مع سياسة الجهاد التى أعلنها صلاح الدين ، وهى أيضا نوع من اعلاء شأن الامبراطور الالمانى من جانب هذه الحوليات .

---

(٤٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢٧ ؛ ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الائمة الفاطميين الخلفا ، جـ٣ ، ص ٢١٧ — ٢٢٢ .

(٤٩) William of Tyre, op. cit., vol. II, p. 253.

وأخطأ وليم فى الاشارة انه تم اعادة نصر لوالده — الذى كان قد قتل فى المعركة مع الداوية ، وقت اعادة نصر إلى أخت الخليفة لتظافر إلكى تنتقم لقتل أخيها على يديه . ويعطى لنا المقريزى أيضا لقتله على يد الجوارى وهو محبوس فى قفص . انظر : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

R. Rohricht, Geschichte des Konigreiches Jerusalem, p. 282.

إبتسام ابراهيم خميس : العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين فى مصر والشام (١١٩٣ — ١٢٩١ م) الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٤٩ .

(٥٠) Chronica Regia Coloniens, in MGH., Scr. rer. Germ., 13, p. 124.

وفى أثناء الحملة الصليبية الثالثة أشار ابن شداد إلى أنه أثناء التفاوض بين صلاح الدين الايوبى وريتشارد قلب الأسد عرض مشروع زواج سيف الدين لعادل أخو صلاح الدين من جوانا أخت ريتشارد وأرملة ملك صقلية السابق . ولكنها رفضت . غير أن ريتشارد قال « أن كان الملك العادل يتنصر فأنا أتنصر ذلك » (٥١) . ولاشك أن هذا المشروع الذى أعتبره البعض نوعا من المزاح ، كان من الوسائل التى استعملها صلاح الدين لاضاعة الوقت أثناء مفاوضاته مع ريتشارد من أجل الاستعداد لمعركة قادمة أو اعطاء عساكره فسحة من الراحة بعد طول القتال .

أما لقاء السلطان الايوبى الكامل محمد مع فرانسيس الاسيزى أثناء الحملة الصليبية الخامسة والذى يقال انه عرض عليه المسيحية فتختلف آراء المؤرخين حوله . ويروى أن فرانسيس طلب من المندوب البابوى بلاجيوس الذهاب لمقابلة السلطان ، ولكنه رفض فى البداية ثم وافق بعد ذلك . وذهب إلى معسكر السلطان ولم يفهم منه سوى كلمة « صلدان » أى السلطان . وبعد أن مثل أمامه سمح له بالتحدث ثم صرفه دون ايذائه بعد أن أوصاه فرانسيس بحسن معاملة من لديه من الأسرى . وبعد أن فشل فرانسيس سواء فى اقناع الكامل محمد بالمسيحية أو اقناع القادة الصليبيين بقبول عروض الصلح ، اتجه إلى بلاد الشام وهو غاضب على الصليبيين بسبب ما انتشر بينهم من مفاسد (٥٢) .

وفى اعتقادى أن هذه الرواية يمكن قبولها نظرا لما أتصف به الكامل محمد من دبلوماسية وصلت ذروتها فى علاقته بالامبراطور فردريك الثانى (١٢١٥ — ١٢٥٠م) ، وكذلك محاولاته اجلاء الصليبيين عن دمياط بالطرق السلمية إلى جانب جهاده العسكرى (٥٣) .

---

(٥١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩٥

(٥٢) Kedar,Crusade and Mission,p.123;Runciman,History of the Crusades,3vols.,London 1977, vol. 3, p. 159.

وكذلك محمود سعيد عمران . المرجع السابق ، ص ١٩٤ وما بعدها .

(٥٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة المرسلين البيضون ، ص ١٩٤ وما بعدها .

وبعد أن استعرضنا هذه المحاولات السابقة يظهر تساؤل هام هل كان لهؤلاء المرتدين دور فى المعارك ضد المسلمين ؟

أشار فوشيه أوف شارتر عند حديثه عن غارة قام بها الصليبيون فى نوفمبر ١١٠٠م / محرم ٤٩٤ هـ على منطقة بالقرب من البحر الميت إلى « مواطنى المنطقة الذين كانوا قبل ذلك مسلمين ولكنهم أصبحوا الآن مسيحيين »(٥٤) . وقدم لهم هؤلاء النصيحة عند قدومهم لهذه المنطقة . هذه الاشارة من جانب فوشيه تتعارض مع رواية أخرى ذكرت أن بلدوين الأول ملك بيت المقدس عندما وجد أن القدس تعانى من نقص فى السكان قام بتهجير عدد كبير من المسيحيين الشرقيين من مواطنى هذه المنطقة واسكنهم أحد أحياء القدس(٥٥) . وهذه الرواية تدل على أنهم فى الأصل من المسيحيين الشرقيين وليسوا من المسلمين المرتدين .

ويشير وليم الصورى إلى أحد المسلمين المرتدين فى بلاط بلدوين الأول حتى أنه صار حاجبا له . ولكنه قبض عليه بسبب اشتراكه مع أهالى صيدا فى محاولة دس السم لبلدوين ، فقام بشنقه(٥٦) . ثم يشير مؤلف مجهول الى شخص آخر يسمى ماخوموس Machomus كان قد وقع فى الاسر وتم تعميده حتى أصبح فى عام ١١١٢م مسئولا عن بيت المقدس أثناء غياب بلدوين فى حملة، ويضيف هذا المؤلف المجهول أن معرفة هذا الرجل باللغة العربية مكنته من اكتشاف مؤامرة لغزو القدس(٥٧) . وفى الواقع أن هذه الرواية بها نوع من المبالغة

(٥٤) Fulcher de Chartreds, op. cit., p. 144.

(٥٥) Prawer, The Settelment of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952, p. 493.
وللدلالة أيضا على أن المسيحيين اليعاقبة كانوا يقيمون فى بعض القرى فى هذه المنطقة بالقرب من البحر الميت . ذكر المؤرخ ملوتيو انه قبل استيلاء الصليبيين على القدس هرب بعض من هؤلاء اليعاقبة متجها إلى مصر وأقام البعض الآخر فى هذه القرى القريبة من البحر الميت ، ثم عاد بعضهم مرة أخرى اليها فى الفترة مابين عامى ١١٠٤ ــ ١١٢٧ م انظر الدراسة أقدمها لنيل مقالته . انظر :
J. P. Martin, Les Premiers princes croisés et les Syriens Jacopites de Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser 8, 12, p. 477.

(٥٦) William of Tyre, op. cit., xi, 14.

(٥٧) يرى كيدار انه يتطابق مع والتر محمد Walter Mahumeth سيد الخليل ، والذى أشار إليه الرت أوف أكس فى عام ١١٠٧م انظر :
Kedar, Crusade Mission, p. 75; Rohricht, Geschichte, p. 89

توصية . فليس من المعقول أن يعهد بلدوين لأحد المسلمين المرتدين بأمر القدس خاصة وأنه لم يمر سوى فترة قصيرة عن المؤامرة التي تهم فيها ذلك المسلم المرتد السابق . ومن ناحية أخرى لم يذكر فوشيه والذي كان مصاحبا لبلدوين الأول — كما ذكر هو بنفسه — إن هذه المؤامرة أو أن هناك حملة تمت في الصحراء في ذلك التاريخ (٥٨) .

ويرى جان ريتشارد أن المرتدين لعبوا دورا هاما في الجيش الصليبي وأن اعدادا كبيرة منهم كانت ضمن الفرسان خفيفي الحركة أو مايسمى بالتركوبول Turcopol ، ويدلل على ذلك بالقائمة الطويلة التي وردت في بعض الوثائق الصليبية عن اسماء حملها بعضها منهم مثل موسى العرف وجورج وبطرس وغيرهم ، ويرى أن غالبيتهم كانوا من المرتدين وبعضهم من المسيحيين الشرقيين (٥٩) .

غير أن هذا الرأي بحاجة للتوقف عنده ومناقشته . فالتركوبول هي فرقة بيزنطية في الأصل ونقل الصليبيون فكرتها أثناء مرورهم ببيزنطة في الحملة الصليبية الأولى كما تشير المصادر الصليبية نفسها (٦٠) . ويدلل كيدار على انهم من المرتدين بما ينقله عن أبو شامة . ففي معرض حديثه عن انتصار صلاح الدين على الصليبيين في عام ١١٧٩ م / ٥٧٥ هـ عند مخاضة بيت يعقوب أو حصن الأحزان ، أمر صلاح الدين باعدام المرتدين ورماة السهام (٦١) . ويستخدم هذه الاشارة التي أوردها أبو شامة ومعه جان ريتشارد بأن التركوبول من المرتدين . وفي الواقع بعد فحصنا للمصادر العربية في هذه الفترة وردت إشارة عن هؤلاء التركوبول . فيذكر العماد الأصفهاني أثناء غارة على بيسان في ٥٧٩ هـ/١١٨٣ م أن الصليبيين قدموا في « الف وخمسمائة رمح ومثله تركبلي » (٦٢) . فمن

(٥٨) Fulcher of Chartres, op. cit., II pp. 202 - 203.

(٥٩) Jean-Richard, op. cit., pp. 140 - 41.

(٦٠) Raymond d' Aguilers, Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, trans with introduction and notes by J. Hill, and L. L. Hill. Philadelphia, 1968, p. 37.

(٦١) يقول أبو شامة « وجيء بالأسارى إلى السلطان فمن كان مرتدا أو رماة صربت عنقه » الروضتين جـ ٢ ، ص ١٩

(٦٢) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، تحقيق وتقديم فالح صالح حسين ط. ثانية (الأردن ، ١٩٨٠) ص ١٤٨

الصعب تصديق أن يكون مثل هذا العدد من المرتدين . كما يذكر كنود كاهن أن بعض المسيحيين الشرقيين يحملون اسماء عربية أو سريانية ، مما يدل على أن الأسماء التي أشار إليها جان ريتشارد لا تدل على أنهم من المرتدين بل انه كيد رعاد وذكر في الحاشية بأنه من الطبيعي ألا يكونوا جميعا من المرتدين » [٦٣].

أما المحاولات التبشيرية التي شهدها القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري فقد اتخذت شكلا منظما بقيام جماعتي الفرنسسكان والدومنيكان بتأسيس مراكز لهما في الأراضي المقدسة . وأخذ البابوات في ارسال الرسائل إلى هؤلاء المبعوثين والحكام الشرقيين يطلبون فيها توفير الحماية لهم [٦٤] . ولن ندخل في تفاصيل هذه المحاولات التي تناولها مارشال بلدوين في مقالته . ولكن يهمنا هنا الأسباب التي أشار إليها في معرض حديثه عن أسباب فشل هذه الإرساليات .

يقول انه من الواضح أن هذه البعثات بين المسلمين في الشرق نادرا ما حققت النجاح ، وذلك لأن معظمها لم يتم له الاعداد جيدا » . ويعدد بعد ذلك أسباب الفشل الأخرى منها معارضة السلطات الاسلامية التي كانت السبب الاساسي في نظره لفشل هذه المحاولات ، بالاضافة إلى الرأي العام الاسلامي الذي ازداد قوة ضد الصليبيين الذين حاولوا كسب التتار ضد المسلمين . كذلك ضياع الامارات الصليبية في الشرق أفقدهم المراكز التي كانوا يتحركون من خلالها [٦٥] .

وفي الواقع أن هذه ليست هي الأسباب الحقيقية لفشل هذه المحاولات ، فلو فهم هؤلاء المبشرون حقيقة الدين الاسلامي لما حاولوا القيام بمحاولاتهم هذه والتي كانت النتيجة الطبيعية لها هي الفشل . فالمؤمن الحق يدرك مافي

(٦٣) C. Cahen, Un document concernant les Melkites et les Latins d' Antioche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, 1971, xxix, pp. 283 - 92. Kedar, op. cit., p. 76.

(٦٤) انظر هذه المراسلات في :
R. Rohricht, zur Korrespondenz des Papste mit dem Sultanen und Mongolkanen des Morgenlandes in zeitalter der Kreuzzuge. Theologischen Studien und Kritiken, Lvix, (1891) 357 - 369;
Karl Ernst Lupprian, Die Beziehungen des papste zu Islamischen und Mongolischen Herrschen im 13 Jahrhundert anhand ihres Briefwechsels Vatican 1981
Baldwin, op. cit., pp. 464 - 65

الاسلام بعد أن اختاره عن عقيده وايمان ، وهو يعلم تماما قول الحق عز وجل : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين[٦١] . وأوضح الله عز وجل في مواضع كثيرة ما أصاب الديانات الأخرى من تحريف وكفر بالله ، فمنهم من ادعى أن لله ولد أو انه ثالث ثلاثة[٦٢] — وحاشى لله وتنزهه عن ذلك كله . فاذا دخل الانسان في الاسلام فلا رجعة في ذلك ، وعقاب الاسلام للارتداد واضح إذا أصر المرتد على موقفه وهو القتل . فلاشك أن فهم المسلم لدينه هو الاساس الذي تكسرت عنه هذه المحاولات التبشيرية .

نخرج من عرضنا لهذه الموضوع الحيوي بنتائج عديدة يصعب حصرها ، منها : أن هذه المحاولات تمت في عصر ضعف فيه المسلمون واستغل اعدائهم ذلك فانقضوا على بلاد الشام وحاولوا غزو مصر عدة مرات . وفي ظل هذا الاحتلال جرت هذه المحاولات التبشرية ومن هنا يجب على جميع المسلمين توحيد الصف بدلا من الفرقة والخلاف .

الاهتمام بحالة المسلمين الاقتصادية ورفع مستواهم المادي يدفع عنهم الوقوع في براثن هؤلاء الدعاة . فقد استغل بعضهم الحالة الاقتصادية لبعض فئات المسلمين فأنشأوا منزلا يقدم فيه المأوى والطعام لهؤلاء الفقراء . ثم يعرضون عليهم المسيحية . ومن هنا فان الاهتمام بهذه الطبقات الفقيرة من العوامل الهامة لمحاربة هذه المحاولات التبشيرية .

كذلك فان تقوية عقيدة المسلمين بمزيد من الفهم للدين الاسلامي الحنيف يكون درعا واقيا أمام هذه الغزوات التبشرية ويوقفها دون تعصب ، فالمسلم الواعي لدينه والواثق بعقيدته هو السبيل الوحيد لوقف هذه المحاولات .

---

(٦١) آل عمران (٨٥)

(٦٢) انظر الآيات الخاصة في سورة المائدة ٧٣، ٧٢، آل عمران ٥٩، مريم ٨٨، ٩٢ وغيرها

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا ــ المصادر الأجنبية :

_ Albert d' Aix, Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C. H-occ:, IV, Paris 1879, pp. 264 713.

_ Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusades, Journal of the Royal Asiatic Society., London 1933.

Cartulaire Général de l'Ordere des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100 - 1310), par Deliaville Le Roulx, (Munchen, 1980.

_ Fulcher of Chartres, A History of The Expidition to Jerusalem (1095-1127) trans, by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An introduction by H. S. Fink : Konsville, 1969.

_ Gesta Francourum Hiersoslimtanorum, ed. by Rosalind Hill, The Deeds of the Franes and the other Pilgrims to Jerusalem, London 1933.

_ Guiberi de Nogent, Gesta Dei Per Francos., in R.H.C. H-Occ. Vol: IV:

_ Jacques de Vitry, Lettres de Jacques de Vitry, ed : R: B. C. Huygens, leiden 1960.

_ Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, trans. by John, J. Gavian. Philadelphia, 1948.

_ Peter Tudbode, Historia; Philadelphia 1974

_ Raymond d'Aguilers, Historia Fromeorum qui ceperunt Iherusalem, trans. with introudetion and notes by J. H: Hill, and L.L. Hill; Philadbphia 1968.

_ Roger of Hovden, Annals, comprisinig History of England and other Countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201 : trans from the Latin with notes and illustrations by Henevg T. Riley 2 vols: London 1883.

_ William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, 2 Vols: Ttrans by E. Stwar Babock and A: C. Krey, New York 1943.

ثانيا ــ المصادر العربية :

ــ القرآن الكريم

ــ ابن الأثير (ت ٥٣٠ هـ/١٢٣٣ م) أبو الحسن علي بن ابي الكرم :

الكامل في التاريخ ، ٩ جـ ــ بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٣ جـ ، بيروت ١٩٨٣ م .

ــ ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٨ ــ ١٢٣٩ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط. أولى القاهرة، ١٩٦٤ .

ــ ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) محي الدين :

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ .

ــ ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢م) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله :

زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامي الدهان ــ ٣ جـ ــ دمشق ١٩٥١ ــ ١٩٦٧ .

ــ ابن عذارى المراكشي (أبو عبدالله محمد) ت بعد عام ٧١٢هـ/ ١٢١٢م :

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ٤ جـ ، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وأ. كولان وا. ليفي بروفنسال ، ط ، ثانية ، بيروت ١٩٨٠ .

ــ ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة المعروف بابن القلانسي :

ديل تاريخ دمشق ، نشر وتحقيق سهيل زكار ، دمشق ١٩٨٣

ـــ ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م)

مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، ٤ جـ ـــ بيروت ١٩٨١

ـــ ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) تاج الدين محمد بن يوسف راغب

المنتقى من أخبار مصر ، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، نشر د. أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨١ .

ـــ أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧هـ) شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم المقدسي :

الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ جـ ـــ مطبعة وادي النيل القاهرة ١٢٨٧ ـــ ١٢٨٨ هـ .

ـــ أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر :

كتاب الاعتبار ، نشر فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠ .

ـــ العماد الاصفهاني الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد ابن حامد :

البرق الشامي ، الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم د. فالح صالح حسين ، الاردن ، ١٩٨٧ .

ـــ القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد ابن محمود :

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جـ ، القاهرة ١٩١٣ / ١٩٢٠ م .

ـــ كهرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢١٦ ـــ ١٢٤٣ م) :

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره دكتور انطون خاطر ودكتور ارولد بو مستر ، القاهرة ١٩١٤ .

ـــ المقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ هـ) تقى الدين أبو العباس أحمد :
اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ ١ نشر وتحقيق د. جمال الدين الشيال ، جـ ٢ ـــ ٣ نشر وتحقيق د. محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٤٣ ـــ ١٩٧١ .

ـــ ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله شهاب الدين : معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٧٠ .

ثالثا ـــ المراجع الأجنبية :

M. W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (ed). History of the Crusades, vol. V, Piladelphia 1985.

C. Cahen, 1 - Orient et Occident au temps des Croisades, Paris 1983.
2 - Un document concernant les Melkites et les Latins d'Anitoche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, vol. xxix 1971.

J. France, The Crisis of Lhe first Crusade, in Byzantion, t. xl, 1970.

J. La Monte, Crusde and Jihad, in The Arab Herutage, ed. by N. A: Faris, New Jersy, 1964.

B. Z. Kedar, 1 - Crusade and Mission, European Approaches to the Muslims, Princeton, 1988.
2 - Ecclesiasiastical Legislation Kingdom of Jerusalem, The Statutes of Jaffa (1953) and Acre (154), in Crusade and Settelment, ed, by P.W. Edbury, Cardiff, 1985.

Karl - Ernst Lupprian, Die Beziehungen der Päpste zu Islamischen und Mangolischen Herrschern in 13. Jahrhundert anhand ihres Briefweehsels, Vatican, 1981.

J. P: Martin, Les Premiers Princés Croisés et les Syriens Jacopites de Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser, 8, 12.

J. Prawer, 1 - The Settelment of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952.

2 "The Jerusalem The Crusaders captured" in, Crusade and Settelment, ed by. P. W. Edbury, Cardiff, 1985.

3 - Crusader Institutions; Oxford 1980.

Jean Richard; The Latin Kingdom of Jerusalem ; trans. from French by J. Shively, 2 Vols : Amsterdam 1979.

R. Rohricht, 1 - Geschichte des Konigerichs Jerusalem, (1100 - 1291) Innsbrack 1889.

2 - Zur korrespondeng der Pâpste mit dem Sultanen und Monfolkanen des Morgenlandes im seitatter den Kreuzzuge. Theoloyischen Studien und kritiken, Lxix (1891).

S. Runciman, History of the Crusades, 3 Vols. London 1971.

رابعاً : المراجع العربية والمعربة :

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

١ ــ تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

٢ ــ المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

بتلر (الفريد) :

فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

حسن عبد الوهاب حسين (دكتور) :

تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

الحركة الصليبية ، جزاءان . القاهرة ، ١٩٦٣ .

محمود سعيد عمران (دكتور) :

الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .